المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى - الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠١٠ - ٠٢٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almashhad@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 353 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 1 يونيو 2026 م - 15 ذو الحجة 1447 هـ

الصمت الكنسى و «هندسة» العائلة المقدسة!

بقلم: جورجيت شرقاوي

الصمت الكنسى حول مشروع قانون "الأسرة" لم يكن سببه "فزلكة" بعض الصحفيين الذين يحاولون إغلاق الملف سريعًا ويدعون صياغتهم لبيان المجمع المقدس وكأن شيئًا لم يكن، بل لأن الكنيسة تدرك أن المشروع المطروح أخطر وأعمق من مجرد هيئة جديدة لتنشيط السياحة.

والمسألة هنا ليست رحلة دينية أو تطوير مسار أثري.. بل سؤال أكبر: من يملك القرار الفعلى على واحد من أهم الملفات الروحية والتاريخية فى مصر؟

مشروع القانون بصيغته الحالية يكشف بوضوح أن الدولة تتعامل مع "مسار العائلة المقدسة" باعتباره مشروعًا قوميًا اقتصاديًا وسياحيًا ضخمًا، هدفه تحويل المسار إلى مصدر جذب عالمى للعملة الأجنبية والاستثمار الدينى. وهذا فى حد ذاته ليس جريمة، لكن الأزمة تبدأ عندما تصبح الكنيسة – صاحبة التراث والحافظة التاريخية لهذه المواقع لقرون – مجرد عضو واحد داخل مجلس إدارة حكومى واسع، لا شريكا أساسيًا فى إدارة ملف يرتبط أصلا بوجدانها وتراثها الروحي، هنا يظهر جوهر القلق الحقيقي، والكنيسة لا تقول ذلك صراحة فى بياناتها، لكنها تدرك أن بعض البنود تفتح الباب أمام تمدد إدارى واقتصادى واسع للهيئة على مواقع مرتبطة بالمسار، بما يشمل أراضى وكنائس وأديرة ذات حساسية دينية وتاريخية شديدة.

الدولة تتعامل مع "مسار العائلة المقدسة" باعتباره مشروعًا قوميًا اقتصاديًا وسياحيًا

كما أن المشروع يمنح صلاحيات تسمح بإدارة اقتصادية واستثمارية واسعة، مع إمكانية الشراكات وفرض الرسوم والتعامل مع مستثمرين، وهو ما يثير مخاوف حقيقية من تحويل الأماكن الروحية إلى "منتج سياحى تجاري" تُدار أولوياته بعقلية العائد والاستثمار أكثر من قدسية المكان والخصوصية الدينية، والمشكلة ليست فى السياحة الدينية نفسها، بل فى السؤال: أين تقف حدود الاستثمار عندما يتعلق الأمر بالمقدس؟

وهل تصبح الأديرة والكنائس التاريخية مجرد "أصول" داخل مشروع اقتصادى ضخم تديره البيروقراطية الحكومية وشبكات الاستثمار؟

والأخطر أن المشروع لا يعكس وزن الكنيسة الحقيقى داخل هذا الملف، رغم أنها الجهة التى حافظت على هذه المواقع عبر قرون طويلة، فى فترات لم تكن فيها الدولة نفسها مهتمة بالمسار أو بترميمه أو بتوثيقه عالميًا. ورغم الإشارات الموجودة داخل بعض البنود إلى مباركة بابا الفاتيكان للمشروع، فإن غياب أى تعليق واضح من الكنيسة الكاثوليكية يضيف مزيدًا من علامات الاستفهام، ويؤكد أن هناك حالة ترقب وتحفظ تتجاوز مجرد التفاصيل الإجرائية.

إن الدولة ترى المشروع ملفًا سياديًا اقتصاديًا وسياحيًا ضخمًا. بينما ترى قطاعات داخل الكنيسة أن هناك محاولة لإعادة تعريف العلاقة بين الدولة والمواقع الدينية تحت عنوان "التنمية والاستثمار". ولهذا تحاول الكنيسة إدارة الموقف بحذر شديد، فتتجنب الصدام المباشر، وتلجأ إلى صياغة: "المشروع لم يُعرض علينا" الذى ورد فى بيان الأنبا بيمن ، بدلا من إعلان رفض صريح قد يفتح باب مواجهة سياسية لا تريدها المؤسسة الكنسية فى هذه اللحظة. لكن خلف هذا الهدوء الظاهري، توجد مؤشرات واضحة على حالة غضب وتحفظ داخل قطاعات كنسية واسعة، مع تصاعد مخاوف من أن يتحول التراث الروحى إلى ملف اقتصادى تُعاد صياغته بعيدًا عن الدور التاريخى للكنيسة.

والحقيقة أن هذا الملف لا يمكن فصله عن ملفات الأديرة والأراضى وتقنين الأوضاع التى شهدت توترات ممتدة خلال السنوات الأخيرة. فكلها تتحرك داخل سياق واحد، إعادة رسم حدود السيادة والإدارة والنفوذ الاقتصادى على المواقع الدينية والتاريخية فى مصر، و حتى هذه اللحظة، لم تصدر الحكومة توضيحات تفصيلية كافية تحسم طبيعة صلاحيات الهيئة وحدودها، ولا كيفية حماية خصوصية الكنائس والأديرة داخل المشروع، ولهذا تبقى كل الأسئلة مطروحة... وكل التخوفات مشروعة.

محمد صلاح الذى خذلنا

بقلم: معوض جودة

بحجم آمالنا التى كانت معلقة عليه داخل المستطيل الأخضر، كانت صدمتنا فى سلبيته من الحرب على غزة، وأهل القطاع المبارك.. لم يكن أحد ينتظر من مو صلاح، الذى هتفت له القلوب والحناجر أن يعلن النفير العام أو الحرب فى بيان؛ وإنما مجرد موقف يذكر محبيه من غير العرب والمسلمين أنه صاحب مبدأ، وموقف إنساني، ينحاز للضحايا قبل أن يكونوا من بنى جلدته ودينه. فعلها كثيرون قبله ولم يكن هو بدعا من الرياضيين لو فعلها.

مؤخرا أشغل الأمين جمال أو كما يسميه الفرنجة لامين يامال مواقع التواصل، عندما لوح بعلم فلسطين، وسط احتفالات ناديه برشلونة ببطولة الدورى الإسباني؛ وقامت قيامة الداخل الإسرائيلي؛ ولم يضره شيء، وكان الفتى ذو الثمانية عشر عاما أشجع كثيرا من مو صلاح فى كفة المقارنة.

وصل صلاح لمكانة عالية مع ناديه على مستوى العالم؛ وصار فى موقع لا يضره فيه شيء، لو عبر عن تضامنه علنا مع المعذبين والضحايا فى القطاع المبارك. فعلها من قبل قديس الملاعب المصرية محمد أبو تريكة، بعد تسجيله الهدف الثانى فى مرمى السودان عام ٢٠٠٨ أثناء حرب إسرائيلية على أهل القطاع؛ حين كتب باللغتين العربية والإنجليزية «تعاطفا مع غزة» ولم يضره ذلك؛ لا من الفيفا، ولا الكاف ولا غيرهم. فهل كان صلاح يخشى أن يناله غضب من مدربه أو ناديه؟

وكان الفتى ذو الثمانية عشر عاما أشجع كثيرا من مو صلاح فى كفة المقارنة

حتى خارج الملاعب، إذا كان التعبير داخل الساحة الخضراء يشق عليه؛ كان صلاح فى منتهى السلبية.

ولعل أشهر مدربى العالم بيب جوارديولا، كان أبرز الرياضيين الذين عبروا صراحة عن تضامنهم مع أطفال ونساء وأهالى غزة، حين كتب مرارا، وتحدث كثيرا، عن هؤلاء المعذبين فى الأرض، ولا صوت لهم سوى الضمير وبعض البصائر التى ما زالت ترى وتصرخ؛ ارتدى غوارديولا الكوفية الفلسطينية فى احتفالية أقيمت فى أسبانيا، تضامنا مع أطفال فلسطين.. صرخ أن جسده يؤلمه حين يرى مناظر أطفال غزة ممزقة.. وكذلك رأينا كريم بنزيما، وآخرين عبروا عن تضامنهم.

كان الجميع ينتظر من صلاح أن يكون على مستوى الأمل فيه، ويعلنها صريحة دون مواربة، أو لف ودوران وحسابات؛ أنه معنا وصوتنا، وينطلق من مكانته العالية، ليكون ضمير القضايا العادلة لا قضايانا نحن فقط؛ لكنه لاذ بالصمت المريب حين كنا ننتظره.

ذكرنا موقف لامين يامال الذى تصرف كالرجال الكبار بالمواقف الصغيرة التى وقع فيها من كنا نظنهم كبارا.

يهبط محمد صلاح الآن من عرش نجوميته فى ليفربول إلى ناد آخر؛ لن يكون فى مستوى ليفربول، ولن يكون مو صلاح الذى شاهدناه يصول ويجول فى الملاعب، ونسعى خلف الشاشات كى نراه ونستمتع به وندعو له؛ وإذا غادر الملعب غادرنا من بعده الشاشات..

لعل الحديث عن المواقف التضامنية العلنية جاء متأخرا؛ وقد يقول قائل: إن مو صلاح تبرع لغزة وأهلها، وقدم فى السر مع عجز عن تقديمه فى العلن؛ لكن تبقى للمواقف العلنية قوتها وحضورها؛ وهذا ما يخشاه الكيان، وبحرص على محاصرته؛ سواء بالترغيب أو الترهيب؛ وأرجو أن لا يكون لمدير أعماله اللبنانى دخل فى منع صلاح من التعبير عن مواقفه؛ فذلك أمر فى مجمله قد انقضى؛ وندعو له بالتوفيق فى رحلته مع منتخب مصر، وهذا العتاب من قبيل المحبة التى كانت لصلاح وما زالت.

إهداء من الفنان محمد عبداللطيف

متعةُ القراءةِ وأسرارُ الكتابةِ: سارة حوَّاس تُحييكُم

دوريس ليسنج

ويليام فوكنر

لم أتمالك نفسى فقمْتُ بالكتابة فورًا حين قرأتُ الكتاب الفريد للدكتورة سَارة حواس أسرار الكتابة: كما يرويها كُتّاب العالم، وإذا كنتِ سريع الملل، لاَ طاقَةَ لك بالقراءة المطوَّلة فأنصحكِ، بداية، بأنْ تسرعَ إلى قِراءة هذا الكتاب حتَّى إذا لم تكن كاتبًا ولا قارئًا، ولكنَّك إنسانٌ، وتحبُّ أنْ تحيا حياةً إنسانيَّة، وأن تضيفَ إلى وعيك، وتعمّق فلسفتك بالوجود، وتحفِّزَ مشاعرك لتسموَ بإنسانيتك، وتحسِّنَ مزاجَك العامّ لتشعر بأنَّ الحياةَ تستحقُّ أنْ تعاش...!

أنصحك صادقًا محبًّا، والله، أن تقرَأَ هذا الكتابَ النَّادرَ، الذي لن تجدَ لهُ مثيلًا فى الجمالِ والتَّدفُّق والرُّقيّ، والعُمق السَّهل الحميم.

يُخجلك من البداية تواضُع الرّهبان الذى لا تفتعلُه المترجمة والشاعرة والأكاديميَّة سارة حوَّاس حين تكتبُ على عتبة غِلافه أنَّه مجرَّد إعداد وتقديم، كما يكتب، بالتَّواضُع ذَاته، الشَّاعر والأديب أحمَد الشَّهاوى وإصفًا جهدَهُ بأنَّهُ مجرَّد تحرير وتقديم من بابِ اللطف والقُرب والتَّواضع السَّامي...!

ولكنّ رُوح سارة حوَّاس الشَّاعرة والأديبة تظلُّ حاضرة تحيطك من كلِ جانب بأنفاس القدّيسين من خِلال سردها السَّاحر لتجربة سَبعَ عشرة عبقرية من عباقرة الكتابة حول العالم؛ منهم ماركيز، ويوسا، وباموق، وإرنو، وعبدالرازق قرنح، وبول أوستر، وإيزابيل الليندي، وإدواردو جاليانو، وتوني موريسون، وساراماجو، وكأنها تكتبُ رواية سيريَّة، أو سيرةً إبداعيَّة لشخصيَّات ابتدعتها من خيالها ليصيرُوا أبطالًا خالدينَ؛ كأبطال الملاحم اليونانيَّة والإغريقيَّة بما يمتلكونه من أسرارَ وتراجيديا عن الكتابة التى تكافئ لديهم الحياةُ بأهوالها وأشرارها وشُرورها، و قدراتهم الخارقة فى الانتصار عليها!...

يبدأ الكتابُ بتجربة الكاتب والرّوائى الأمريكيّ ويليام فوكنر (١٨٩٧-١٩٦٢م) الحاصل على جائزة نوبل ١٩٤٩م؛ فيحكى لك بعفويَّة وصدق كيف بدأت رحلته مع الكتابة، وعلاقته بأستاذهُ الأوّل وأساتذته، وآباء الكتابة الرّوحيّين لجيله، ويمزج ذلك كله بتجربته الحياتيَّة، وعلاقته بالمال والسّلطة، والنِّساء، والطعام، وعلاقاته الأسريَّة، وربط ذلك كله بقيم الكتابة من ناحية وقيم الحياة الإنسانيَّة من ناحية أخرى.

وأنت حِين تتوقَّف أمام تجربة فوكنر الثريَّة، ليس بوصفه روائيًا استثنائيًا، بل بوصفه صديقًا يعيش معك فى آلامك وأوجاعك ومشاغلك، ويشعرك أن لا يوجد شخص استثنائيّ، والاستثناء الذى يصنعك حين تفارق هذه الأفكار وتفتّش فى ذاتك عن العبقريّ السّاكن فيك؛ فيمكنك حينها أن تكتبَ أنتَ؛ لذا تتصتُ فى محبَّة وثقة إلى نصائحه، وتستثار كلّ حواسك لتتبّع أسراره عن الكتابَة؛ لكونها تجاربَ حياة إنسانيَّة، تُغريك أن تكتبها فوقَ حائط غرفتك، أو فى لوحةٍ مستقلة أمام مكتبك، وإذا كنت ممن يخافون (الحكومة!) أو يتحفَّظون بطبيعتهم، أن تكتبها على يدك، لجاذبيَّة هذه النَّصائح؛ إذ تكمن عظمتها فى قدرتها على الاستحواذ على عقلك ومشاعرك بحميميَّتها وصدقها وإنسانيّتها، وعمقها البعيد عن التّقعّر والتّفلسف والافتعال؛ ومنها:

– لا تكنْ كاتبًا، بل اكتبْ.

– لا عمل صادقًا يكونُ سهلًا.

– واجبُ الكاتب الوحيد تجاه القارئ هو أنْ ينجزَ العملَ بأفضل ممَّا يستطيعُ.

– لا وقتَ مبكِّرًا أكثرَ من اللَّازم لتبدأ الكتابةَ... ابدأ منذُ أن تتعلّم القراءةَ.

– القاعدةُ الوحيدةُ التى ألتزمُ بها هى أن أتوقَّفَ عن العمل فى حين لا تزال الحماسةُ مشتعلةً.

– علىَ الكاتبِ أن يعلمَ نفْسَهُ أنَّ أحقرَ ما فى الوجود هو الخوفُ.

– لاَ يمكنُ تلخيصُ أيَّةِ روايةٍ فى فِقرةٍ واحدةٍ؛ فذلك يعنى أنَّها لا تستحقُّ أن تُكتَبَ.

– يحتاجُ الكاتبُ إلى ثلاثةِ أشياءَ؛ هي: التَّجربةُ، والملاحظةُ، والخيَال.

– اقرَأْ واقرَأْ كثيرًا.. اقرَأْ وستشربُ الحرفةَ دونَ أن تَشعرَ.

– يجبُ أن يفرّقَ الكاتبُ بين الحبِّ والشَّهوة؛ لأنَّ مَنْ يكتبُ عن الحبِّ يكتبُ عن الشَّرف والرَّحمة والتَّضحية.

– كلّنا فشلنا فى الوصُول إلى حبِّ الكمال؛ لذلك أقيسُ قيمَتَنا بمدَى هذا الفَشلِ النَّبيل فى مُحاولة بلوغِ المستحيل.

ولعلّ السِّحر والعبقريَّة فى كلّ هذه النَّصائح التى لا يستغنى عنها بشرٌ أنَّه يمكنُ أن تستبدلَ بكلمة «كاتب» كلمةَ «إنسان»، وتستقيم النَّصائح، بل تستقيم لك الحياةُ...!

إنَّ نصائح فوكنر وغيره من العباقرة الآخرين الذين يحيطونك بأسرار الكتابة والسَّعادة تذكرنا بها يؤكده علماء البلاغة المعرفيَّة بأنّنا كلنا شعراء وأدباء بالفِطرة؛ فأنت حين تقرأ نصائحهم ستجد نفسك قارئًا كَاتبًا، وأنَّ بداخلك مناجم وكنوزًا لا تحتاج منك سوى أن تمدَّ يدك إلى حبرك لكى تعبّر عنها، وأن تُزيل الأتربة العالقة على نظارتك، والغبار من حولك لترى وتسمع وتشمّ وتُحسّ وتكتب وتستمتع بتجاربك أنت وبحياتك أنتَ...!

وحين نتجاوز نصائح فوكنر، وأسراره فى الكتابة والحياة إلى الروائية البريطانية المذهلة دوريس ليسنج (١٩١٩-٢٠١٣م) الحائزة على جائزة نوبل سنة ٢٠٠٧م؛ فإنَّك تحبُّ هذه السّيّدة لكونها تجاسرت وغامرت وصمَّمت أن تواجه الفشل مرات ومرّات وتصمّم على النّجاح بقوة إيمانها بموهبتها، وأنَّ بداخلها قصصًا، يجب أن تحكيها، وتعيد حكايتها بأشكال مدهشة لتعوّض افتقاد الحياة إلى هذه الدّهشة وجنوحها إلى الرّتابة، والاعتياد والسّكون الممل...!

وتنتقل بنا نصائح ليسنج من محبَّة الحياة ومعرفتها إلى تجميلها وخلق حيوات أفضل تستحقّ أنْ نعيشها، ونستمتع فيها بالدّهشة والمعرفة والحبّ؛ من هذه النّصائح التى تسوقها هدية لك لتغدو مفاتيح السَّعادة والنّجاح:

– يجب أن تكتبَ أوّلًا، وقبل كلّ شيء من أجل نفسك.

– الخيالُ هو الوسيلة الأذكى لقول الحقيقة.

– أكتبُ بشكل أفضل عندما أكونُ فى حَالة تَدفُّق.

– مهمَّة الكاتب هى إثارة الأسئلة...سواءٌ حقّق نتائج، أم لم يُحقّق.

– مُدهش أن تكتبَ بضمير المتكلّم عن شخص لا تعرفه تمامًا.

إنَّ قراءة مثل هذا الكتاب ضرورة ملحَّةٌ فى هذا السّياق الخانق الذى نحتاج فيه إلى كتاب فارق يغيّر نظرتنا لا للقراءة والكتابة والثّقافة والتّعليمُ والمثاقفات والصُّوروليوجيا التى يضعنا الكتابُ فيها ببراءة وتلقائيَّة وتدفّق عزَّ نظائرها، ولكنّه يضع أيدينا على كيفيَّة الإحساس بلحظات الصِّدق فى الحياة، وكيف نتعامل مع الكلمة، والزّوجة، والمرأة، والوظيفة، والمال، وأحلام الثّروة والسُّلطة، وكيف نطرح أوجاع الماضي، ونستثمر فُرصَ الحاضر، وننتصر على مخاوف المستقبل، وقبل ذلك وبعدَه كيف نقرأ الكتب وكأنّنا نقرأ أنفسنا، وكيف نكتب أنفسنا وكأنّنا نكتبُ الآخرينَ...!

قد يتلقّى القارئ هذا المقال على أنّهُ نوعٌ من الحماس الجارف للقراءة الأولى لهذا الكتاب؛ أى إنّها مجرّد جذبة صوفيَّة، ولكنّنى أعدك أنّك ستشاركنى هذه الجذبة، وربّمَا تخطفك إلى عوالمه الرّوحانيَّة والمعرفيَّة والإدراكيَّة بحيث لا تعودُ إلى سابق ذنبك، أو عهدك قبله؛ فالأمر – كما ينقل الكتاب عن فوكنر: يجب أن يكتب الكاتبُ، ويقرأ القارئ كما « يقرأ الواعظ المعمدانيّ الأمّى العهد القديم بإيمان كامل»...!

لقد كان دَافعيّ الأوّل للكتابة هو محبَّة القارئ والوثق فيما أكتبه، ويليه تحية لمن كتبت (لتحيينا) د. سارة حواس هذه المترجمة الشّاعرة الأديبة المثابرة التى غزلت هذه الشذرات من موارد شتّى وضفّرتها بأسلوب سرديّ آسر فى محبَّة لمن كتبت عنهم، ولمن كتبتْ لهم؛ لتجدِّد حياتهم، وحياتها، وحياتنا...!

بقلم: د.محمد سيد على عبدالعال (د. محمد عمر)
أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية الآداب للدّراسات العليا بآداب العريش

مناقشة «الإسلام وأصول الحكم» بمناسبة إطلاق طبعته المحققة الأولى

هل تناغم الشيخ على عبدالرازق مع بريطانيا أم تأثر بالأتاتوركية؟

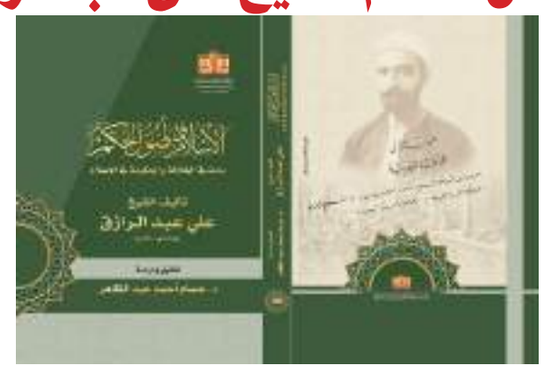

شهدت قاعة «على مبارك» بمقر الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، فعاليات الندوة العلمية «الشيخ على عبد الرازق وكتاب الإسلام وأصول الحكم»، بمناسبة إطلاق الطبعة الأولى المحققة من الكتاب الصادرة عن دار الكتب والوثائق القومية بمناسبة مرور مائة عام على صدوره، والتى قام بتحقيقها ودراستها الدكتور حسام عبد الظاهر، الباحث بمركز تحقيق التراث بالدار والخبير بمجمع اللغة العربية.

وأكدت الكلمات الافتتاحية للمتحدثين تباعاً؛ على الأهمية التاريخية والفكرية لإعادة قراءة هذا الأثر الفكرى فى سياقه الزمني. وشهدت الندوة طرحاً علمياً غزيراً عبر جلستين متتاليتين، بدأت الأولى برئاسة الدكتور أشرف مؤنس وتحدث فيها الأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق، والدكتورة هند محمد عبد الرحمن، والباحث مصطفى مهران، ثم تلتها الجلسة الثانية برئاسة الدكتورة إلهام ذهني، وتحدث فيها الدكتور شريف إمام، والدكتور أحمد صلاح الملا، والدكتور حسام عبد الظاهر.

وفى إطار أعمال الجلسة الأولى، قدم الأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة عين شمس، أطروحة مركزية غاية فى الأهمية بعنوان «السياسة المصرية وأزمة كتاب الإسلام وأصول الحكم». واستهل الدكتور الشلق كلمته بالتأكيد على أن المخاض الفكرى والاجتماعى العنيف الذى شهدته مصر منتصف عشرينيات القرن الماضى بلغ ذروته مع صدور كتاب الشيخ على عبد الرازق فى أبريل ١٩٢٥م، موضحاً أن الأزمة لم تكن وليدة الصدفة بل نتاجاً لتطور اتجاه فكرى تجديدى رافض لروح التوفيق التقليدية متأثرا بالتجربة الكمالية فى تركيا، وبيّن أن الكتاب طرح قضية العلمانية لأول مرة من داخل الإطار الدينى الإسلامى نفسه لتقويض القداسة عن منظومة الحكم التاريخية. وأضاف أن هذا الطرح الفقهى تحول سريعاً إلى زلزال سياسى تداخلت فيه مصالح الأحزاب ومخططات القصر؛ إذ تزامنت أطروحة الكتاب مع أطماع الملك فؤاد الأول لإحياء مشروع الخلافة وتنصيب نفسه خليفة بعد إلغائها فى تركيا عام ١٩٢٤م، وحين وجد الملك أن الكتاب يضرب مشروعه فى مقتل، أوعز بمحاكمة الشيخ وفصله، مما فجّر أزمة وزارية حادة وضعت حزب «الأحرار الدستوريين» فى بؤرة الصراع لدفاعه عن الشيخ وعن حرية الرأى التى كفلها دستور ١٩٢٣م فى معركة قادها رموز كبار مثل د. محمد حسين هيكل، ود. منصور فهمي، وإسماعيل مظهر، وانتهت باستقالة عدد من الوزراء الدستوريين وإعادة تشكيل الخارطة السياسية والتحالفات الحزبية فى مصر.

الموقف البريطاني

وفى الجلسة ذاتها، قدمت الدكتورة هند محمد عبد الرحمن، أستاذ تاريخ مصر الحديث بكلية السياحة والفنادق جامعة المنيا، ورقتها البحثية بعنوان «الرؤية البريطانية لقضية كتاب الإسلام وأصول الحكم»، وأوضحت الدكتورة هند أن الموقف البريطانى لم يكن محايداً، بل انسجم طرح عبد الرازق مع مصالح بريطانيا الاستعمارية التى عارضت إحياء الخلافة العثمانية ودعمت فصل الدين عن السياسة لتعزيز نموذج الدولة الحديثة، غير أن هذا الاهتمام البريطانى كان ظرفياً وتراجع سريعاً أمام حساباتهم الاستراتيجية الأوسع وتشكيل توازن قوى جديد يضمن استقرار مصالحهم بمصر، مشددة على أن دراسة هذه الرؤية تكشف التداخل المعقد بين الفكر الإصلاحى والسياسات الاستعمارية فى تلك الحقبة.

واختتم الباحث مصطفى مهران، باحث الدكتوراه بجامعة هايدلبرغ بألمانيا، أعمال الجلسة الأولى بورقة بحثية معمقة وحيوية حملت عنوان «الكتاب الذى أطاح بكرسى الخلافة: الملك فؤاد والخلافة الإسلامية». وتناول مهران فى دراسته تفكيك تلك اللحظة الحرجة التى تداخل فيها الفقهى بالسياسي، مستعرضاً كيف قدم الشيخ عبد الرازق رؤية ثورية جادل فيها بأن الإسلام رسالة روحية محضة لا علاقة لها بنظام الحكم الدنيوي، نافياً بذلك القداسة عن منظومة الخلافة التاريخية، وأكد الباحث أن الأهمية البالغة للكتاب تنبثق من توقيت صدوره الذى مثّل اشتباكاً قاتلاً مع مشروع السلطة؛ إذ تزامن نشره مع مساعى الملك فؤاد الأول الحثيثة (١٩٢٤ – ١٩٢٦م) لتنصيب نفسه خليفة للمسلمين، بهدف التحلل من قيود الحياة الدستورية الوليدة وقمع المعارضة الوطنية وتثبيت أركان حكمه المطلق فى مواجهة شعبية حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول،وأوضح مهران أن الكتاب تحول بذلك إلى وثيقة سياسية نجحت فى تقويض الأساس الدينى الذى كان يتربص به الملك، وبددت حلمه الفكرى فى المهد والتكامل مع تراجع الائتلاف الحكومى واشتعال صراع انقسمت فيه النخبة بين المدافعين عن حرية الرأى والمعسكر التقليدي.

أما أعمال الجلسة الثانية، فأدارها الاستاذ الدكتور أحمد الشربيني، وقد استهلت بالورقة البحثية المقارنة والثرية التى قدمها الدكتور شريف إمام، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بكلية الآداب جامعة عين شمس، وعنوانها «فقه الخلافة بين الشيخ على عبد الرازق وعبد الرزاق السنهوري»، وعالج الدكتور شريف إمام فى طرحه مسألة الخلافة فى الفكر الإسلامى الحديث من خلال دراسة مقارنة بين رؤيتين متمايزتين ومتقابلتين صيغتا فى أعقاب إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، وحلل الباحث أطروحة الشيخ على عبد الرازق فى كتابه «الإسلام وأصول الحكم» (١٩٢٥م) وتوصله لنفى الأساس الشرعى الإلزامى لنظام الخلافة، عادّاً إياها تجربة سياسية تاريخية خاضعة للاجتهاد البشرى المحض وليست أصلاً دينياً، وفى المقابل، فكك الدكتور شريف تصور القانونى والفقيه الكبير عبد الرزاق السنهورى المنشور فى أطروحته للدكتوراه بجامعة ليون سنة ١٩٢٦م تحت عنوان «الخلافة: تطورها نحو عصبة أمم شرقية»، مبيناً كيف سعى السنهورى لإعادة بناء مفهوم الخلافة بالجمع بين التراث الفقهى ومبادئ القانون الدستورى الحديث ومتطلبات الدولة المعاصرة، حيث رأى إمكانية تطوير الخلافة كـ «نظام تعاونى أو اتحادي» يعبر عن وحدة العالم الإسلامى دون قيود الصيغة التقليدية، وركز الدكتور شريف إمام فى كلمته على تحليل منطلقات المفكرين وأدواتهما المنهجية فيما يتصل بمصدر الشرعية، والعلاقة بين الدين والدولة، وحدود السلطة، مبرزاً أوجه الاتفاق والاختلاف وكيف ساهم الصنيعان فى بلورة اتجاهات الفكر السياسى الإسلامى المعاصر ونقاشاته الحالية.

مواقف الخصوم

تلتها الكلمة البحثية للدكتور أحمد صلاح الملا، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بكلية الآداب جامعة دمياط، والتى حظيت باهتمام كبير؛ حيث ألقى الضوء على ورقة بحثية معمقة بعنوان «الإسلام وأصول الحكم تحت مطرقة خصومه: السيد محمد رشيد رضا نموذجاً»، واستعرض الدكتور الملا الموقف العنيف والصارم الذى اتخاذه المصلح السلفى السيد محمد رشيد رضا عبر مجلة «المنار» فور صدور الكتاب فى ربيع عام ١٩٢٥م، وأوضح الباحث أن حدة رد الفعل هذا، والذى وصل إلى حد التكفير الصريح، لا يمكن فصلها عن الأجواء التاريخية العاصفة التى تلت إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م، مما دفع برشيد رضا لتبنى خط دفاعى شرس عن التصورات التقليدية أمام طوفان المد العَلمانى الليبرالي، كما فكك الدكتور أحمد صلاح الملا الأبعاد المحلية والأجواء المصرية الخاصة التى غذت هذا الصراع، مشيراً إلى طموح الملك فؤاد فى وراثة الخلافة وسعيه لتنظيم «مؤتمر الخلافة»، الذى غدا فيه رشيد رضا الداعية والمنظر الأول له، والضغط الذى انتهى بإصدار هيئة كبار العلماء حكمها التاريخى بإخراج الشيخ على عبد الرازق من زمرة علماء الأزهر الشريف.

واختتمت الجلسة الثانية والأخيرة بالكلمة الهامة التى ألقاها محقق الطبعة الجديدة الصادرة عن الدار، الدكتور حسام أحمد عبد الظاهر، الباحث بمركز تحقيق التراث بالهيئة والخبير بمجمع اللغة العربية، والتى جاءت بعنوان «نحو أعمال كاملة للشيخ على عبد الرازق». افتتح الدكتور عبد الظاهر كلمته بالإشارة إلى أنه على الرغم من أن مناط شهرة على عبد الرازق التاريخية ارتبط بكتابه المثير للجدل «الإسلام وأصول الحكم»، إلا أن هذا لم يكن عمله الكتابى الوحيد . واستعرض الباحث الفوائد العلمية والثقافية الجمة الكامنة وراء مشروع إتاحة «الأعمال الكاملة» للشيخ، وفى مقدمتها رصد التطور الفكرى لعلي عبد الرازق حول الخلافة ونظام الحكم، مما يسهم إيجاباً فى الرد الضمنى على الشكوك والمراجعات المروجة دون سند حول تراجعه عن أفكاره، فضلاً عن إعادة اكتشاف قيمته كمفكر وناقد تلمس أبعاداً معرفية متنوعة شملت اللغة، والأدب، والرحلة، والتاريخ، والفلسفة، والمنطق، والإصلاح؛ لإخراجه من الزاوية الفكرية الضيقة التى حُصر فيها تاريخياً. وفكك الدكتور حسام عبد الظاهر فى أطروحته أربعة محاور أساسية ركّز أولها على تتبع اتجاهات الشيخ الكتابية المتنوعة بين عامى (١٩١٢ – ١٩٦٦م) من بحوث، ومقالات، ورسائل، وحوارات صحفية، وانتقل فى المحور الثانى لاستعراض ما توافر من مذكرات الشيخ المخطوطة، ليناقش فى المحور الثالث الصعوبات والمعوقات التى تواجه إنجاز هذا العمل الضخم.

واختتم الباحث كلمته بتقديم تصور مقترح وخارطة طريق علمية وممنهجة لتنفيذ مشروع جمع وتحرير ودراسة الأعمال الكاملة للشيخ على عبد الرازق، مقسماً إياها إلى ست مراحل دقيقة ومترابطة، وهي: (الجمع، الكتابة والتحرير، التصنيف، التعليق، الدراسة، وأخيراً التكشيف).